تفسير سورة مريم

الجزء الثاني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

بين يدينا سورة ورد فيها اسم من أسماء الله الحسنى مختص به سبحانه , لا يجوز أن يسمى به غيره معادلا بذلك اسم الجلالة الذي لا يشاركه فيه أحد , فيه رقة وتعطف وشفقة , من صفات الكمال الرباني , نعيشه في هذه السورة نستشعره في كل آية من آياتها ونلمسه ونرى آثاره في كل معنى من معانيها....ليمتلئ قلب المؤمن ويفيض به, فيعظم رجاؤه ويستبشر فؤاده حبا وقربا, ويقوى يقينه حين يعاين في رحلته مع هذه السورة الكريمة صورا ومشاهد يتجلى فيها هذا الاسم، ورد ذكره في أولها وفي أخرها , وتكرر في ثنايا السورة (16) مرة , الرحمن ورد في القرآن (58) وفي سورة مريم (16) مرة،

لفظ الرحمة ورد أربع مرات (ذكر رحمت ربك – ووهبنا له من رحمتنا – ووهبنا لهم من رحمتنا – ولنجعله آية للناس ورحمة منا) ·رحمة الله بعباده (زكريا – مريم – عيسى) عليهم السلام.

ويذكر من نعمة الله على يحيى أن آتاه الله حنانا «وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكانَ تَقِيًّا».

التفسير الإجمالي من آية 1إلى آية 15:

ابتدأ الله هذه السورةَ بالحُروفِ المقَطَّعةِ التي تُبيِّنُ إعجازَ القرآنِ؛ فتُبرِزُ عجزَ الخَلْقِ عن معارضتِه بالإتيانِ بشيءٍ مِن مثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ من هذه الحروفِ العربيَّة التي يتحدَّثون بها!

ثمَّ قال تعالى: هذا الذي نَتلوه عليك ذِكْرُ رَحمةِ رَبِّك عَبدَه زَكريَّا؛ إذ دعا ربَّه سرًّا، قال: رَبِّ إني كَبِرْتُ، ورقَّ عَظمي، وانتشَرَ الشَّيبُ في رأسي، ولم أكُنْ مِن قَبلُ حين أدعوك مَحرومًا من إجابةِ الدُّعاءِ، وإنِّي خِفتُ أقاربي وعَصَبتي مِن بعدِ مَوتي أن يُضَيِّعوا الدِّينَ والعِلمَ، ولا يقوموا بهما حَقَّ القيامِ، وكانت زوجَتي عاقِرًا لا تَلِدُ؛ فارزُقْني مِن عِندِك وَلَدًا يَرِثُ عِلْمي ونبُوَّتي، ونبُوَّةَ أجدادِه آلِ يَعقوبَ، واجعَلْ هذا الولَدَ مَرضِيًّا عندَك وعندَ عِبادِك.الدرر السنية

يبيِّنُ الله تعالى أنَّه قد أجاب بفضلِه وكرمِه دعاءَ عبدِه زكريا، وأنَّه نوديَ: يا زكريَّا، إنَّا نُبشِّرُك بإجابةِ دُعائِك، قد وَهَبْنا لك غُلامًا اسمُه يحيى، لم نُسَمِّ أحدًا قَبلَه بهذا الاسمِ، قال زكريَّا متعَجِّبًا: ربِّ كيف يكونُ لي غُلامٌ، وكانت امرأتي عقيمًا لا تَلِدُ، وقد بلغتُ النِّهايةَ في الكِبَرِ؟ قال: هكذا الأمرُ كما تقولُ مِن كَونِ امرأتِك عاقِرًا، وبلوغِك من الكِبَرِ عِتيًّا، ولكنَّ ربَّك قال: هذا أمرٌ سَهلٌ هيِّنٌ عليَّ، وقد خَلقتُك أنت مِن قَبلِ يحيى، ولم تكُن شَيئًا مَوجودًا. قال زكريَّا: ربِّ اجعَلْ لي علامةً على تحقُّقِ هذه البشارةِ. قال: علامتُك ألَّا تَقدِرَ على كلامِ النَّاسِ مُدَّةَ ثلاثِ ليالٍ، وأنت صحيحٌ ليس بك مَرَضٌ يمنَعُك من الكلامِ.

فخرج زَكريَّا على قَومِه مِن مُصَلَّاه الذي بُشِّرَ فيه بالوَلَدِ، فأشار إليهم: أنْ سَبِّحوا اللهَ أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَه؛ شُكرًا له تعالى. الدرر السنية

أوجَد الله تعالى هذا الغلامَ المبشَّرَ به، وهو يحيى عليه السلامُ، وبيَّن سبحانَه ما أمَره به، وما منَحه مِن صفاتٍ فاضلةٍ، فقال تعالى: يا يحيى، خُذِ التَّوراةَ بجِدٍّ واجتِهادٍ؛ بحِفظِ ألفاظِها، وفَهمِ مَعانيها، والعَمَلِ بها، والدعوةِ لاتِّباعِها، وأعطيناه الفَهمَ لكِتابِ اللهِ، والحُكمَ به وهو صغيرُ السِّنِّ. وآتيناه رَحمةً ومَحبَّةً مِن عندِنا، وطهارةً مِن الذُّنوب، وكان مُطيعًا لله تعالى، وكان بارًّا بوالِدَيه مُطيعًا لهما، ولم يكُنْ متكَبِّرًا ولا عاصيًا. وسلامٌ مِن اللهِ على يحيى وأمانٌ له يومَ وُلِد، ويومَ يموتُ، ويومَ يُبعَثُ حيًّا يومَ القيامةِ.الدرر السنية

بعدَ أن ذكَر الله تعالى جانبًا مِن قصةِ زكريا ويحيى -عليهما السلام- وما فيها مِن العجبِ؛ ذكَر قصةً أخرَى أعجبَ منها، وهي قصةُ مريمَ، وميلادِ ابنِها عيسى عليه السلامُ. الدرر السنية

المناسبة بين اسم السورة ومحورها : مريم العابدة التي بلغت الغاية في مقام العبودية لله تعالى, تأتي قصتها وقد ظللتها الرحمة وشملتها في كل لحظة من لحظات حياتها, وفيها تقرير حقيقة عيسى ابن مريم، والفصل في قضية نبوته ,وإثبات قدرة الله تعالى في خلق عيسى بدون أب مما يقرر عقيدة التوحيد , والسورة تتحدث عن التوحيد والعبودية وأنها طريق لرحمة الله تعالى. التفسير الموضوعي

قصتها أقوى دلالة على رحمة الله تعالى بعباده الذين تسنموا أعلى مقامات العبودية، لذلك سميت باسمها , فحيثما ذكرت مريم يرتبط اسمها برحمة الله لها وكمال عبوديتها لله تعالى , ومريم قد نذرتها أمها محررة أي خالصة للعبادة وسمتها مريم أي العابدة .

فقال تعالى: في هذه السورة الكريمة سورة مريم:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ﴿16﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

قال ابن كثير: لَمَّا ذَكَرَ تعالى قِصَّةَ زَكريَّا -عليه السَّلامُ- وأنَّه أوجَدَ منه في حالِ كِبَرِه وعُقمِ زَوجتِه ولدًا زَكيًّا طاهِرًا مُبارَكًا- عطَفَ بذِكرِ قِصَّةِ مَريمَ في إيجادِه ولَدَها عيسى -عليهما السَّلامُ- منها مِن غيرِ أبٍ؛ فإنَّ بينَ القِصَّتينِ مُناسَبةً ومُشابَهةً؛ ولهذا ذكَرهما في (آلِ عِمرانَ)، وهاهنا، وفي سورةِ (الأنبياءِ)، يَقرِنُ بين القِصَّتينِ؛ لتقارُبِ ما بينهما في المعنى، ليَدُلَّ عِبادَه على قُدرتِه، وعَظمةِ سُلطانِه، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ. موسوعة التفسير

وأيضًا لَمَّا ذكَرَ الله تعالى قِصَّةَ زَكريَّا -عليه السَّلامُ- وطلَبَه الولدَ، وإجابةَ الله إيَّاه، فوُلِدَ له من شَيخٍ فانٍ، وعَجوزٍ له عاقرٍ، وكان ذلك مما يُتعَجَّبُ منه- أردفه بما هو أعظَمُ في الغَرابةِ والعَجَبِ، وهو وُجودُ ولَدٍ مِن غيرِ ذَكَرٍ. ((تفسير أبي حيان)) (247/7).

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ) أي: واتْلُ -يا مُحَمَّدُ- في القُرآنِ خبَرَ مَريمَ عليها السَّلامُ. موسوعة التفسير

(إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) أي: حينَ تنحَّتْ عن أهلِها وانفَرَدتْ وَحدَها في موضعٍ جِهةَ المشرِقِ. موسوعة التفسير

تنحت وابتعدت عن أهلها لتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ﴿17﴾

(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا) أي: فجعَلَت مَريمُ بينَها وبينَ أهلِها حاجِزًا يَستُرُها عنهم وعن النَّاسِ؛ حتى تتفَرَّغ لعبادةِ اللهِ. موسوعة التفسير

(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) أي: فأرسَلْنا إلى مَريمَ جِبريلَ فجاءَها على هيئةِ رَجُلٍ مُعتَدِلِ الخِلْقةِ، جَميلِ الصُّورةِ. موسوعة التفسير

قال ابن حيان: جبريلَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الدِّينَ يحيا به وبوحيِه.

قال الواحدي: وقيل: إنَّما سُمِّي جبريلُ رُوحًا؛ لأنَّه بمنزلةِ الأرواحِ للأبدانِ تحيا بما يأتي مِن البيانِ عن الله عزَّ وجلَّ مَن يُهدَى به.

قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا... وخِطابُ الملائكةِ لمريمَ لا يقتَضي النبُوَّةَ؛ لأنَّ النبيَّ مَن يُوحَى إليه بشَرعٍ، ومريمُ لم يُوحَ إليها بشَيءٍ مِن الشَّرعِ، ولكِنَّه كان خِطابًا للبِشارةِ بواقعةٍ مُعَيَّنةٍ دالَّةٍ على علُوِّ مَنزِلتِها، واصطفاءِ الله سُبحانه وتعالى لها. ((زهرة التفاسير)) لأبي زهرة (1213/3).

ولأنَّ الملائكةَ قد كَلَّموا مَن ليس بنبيٍّ إجماعًا. ((تفسير الألوسي)) (148/2)

(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)

السَّوِيُّ: المسَوَّى، أي: التَّامُّ الخَلقِ، وإنَّما تمثَّلَ لها كذلك؛ لِوُجوهٍ ذكَرَها العُلماءُ، منها:

الوجه الأول: للتناسُبِ بينَ كَمالِ الحقيقةِ، وكَمالِ الصُّورةِ.

الوجه الثاني: أُرسِلَ حَسَنَ الشَّكلِ؛ لئلَّا تَشتَدَّ نُفرتُها ورَوْعُها منه. ((نظم الدرر)) للبقاعي (183/12).

الوجه الثالث: كان تمثيلُه على ذلك الحُسنِ الفائقِ والجَمالِ الرَّائقِ؛ لابتلائِها وسَبْرِ عِفَّتِها، ولقد ظهَرَ منها مِنَ الوَرَعِ والعَفافِ ما لا غايةَ وراءَه. ((تفسير أبي السعود)) (260/5)، ففي ذلك إشارةٌ إلى كَمالِ عِصمَتِها؛ ((تفسير ابن عاشور)) (80/16). (إِذ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا).

وهنا فائدة: إثباتُ الملائكةِ، وأنَّهم أحياءٌ، ناطِقونَ، مُنفَصِلونَ عن الآدميِّينَ، يُخاطِبونَهم، ويَرَونَهم في صُورِ الآدميينَ؛ الأنبياءُ وغيرُ الأنبياءِ، كقَولِه تعالى: (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) [الحجر: 51- 54]، وغيرُ الأنبياءِ، كما رأتْهم سارةُ امرأةُ الخليلِ عليه السَّلامُ، وكما كان الصَّحابةُ يرَون جبريلَ إذا جاء؛ لَمَّا جاء في صورةِ أعرابيٍّ، وتارةً في صورةِ دِحْيةَ الكَلْبِيِّ. الدرر السنية

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ﴿18﴾

(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ) أي: قالت مَريمُ وهي خائِفةٌ: إني ألتَجئُ وأعتَصِمُ بالرَّحمنِ منك -أيُّها الرَّجُلُ- أن تنالَني بسُوءٍ. موسوعة التفسير

قال أبو حيان: لِياذُها باللهِ وعياذُها به وقْتَ التَّمثيلِ دليلٌ على أنَّه أوَّلَ ما تمثَّلَ لها استعاذتْ من غيرِ جرْيِ كلامٍ بينهما.

قال ابن عاشور: جُملةُ: (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ) خبريَّةٌ، ولذلك أُكِّدَت بحرفِ التَّأكيدِ (إنَّ). وذِكْرُها صِفَةَ (الرَّحمنِ) دونَ غيرِها من صفاتِ اللهِ؛ لأنَّها أرادتْ أنْ يرحَمَها اللهُ بدفْعِ من حسِبَتْه داعرًا عليها.

(إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) أي: إنْ كُنتَ ذا تقوى تجتَنِبُ ما حرَّم اللهُ، ولا تُقدِمُ على الفُجورِ، فستنتهي بتعوُّذي منك. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: أي: إن كُنتَ تخافُ اللهَ، تذكيرٌ له بالله، وهذا هو المشروعُ في الدَّفعِ: أن يكونَ بالأسهَلِ فالأسهَلِ، فخَوَّفَته أوَّلًا بالله عزَّ وجَلَّ.

قال السعدي: فجمَعَت مريمُ عليها السَّلامُ بينَ الاعتِصامِ برَبِّها، وبينَ تخويفِ ذلك الشَّابِّ، وترهيبِه وأمْرِه بلُزومِ التقوى، وهي في تلك الحالةِ الخاليةِ، والشَّبابِ، والبُعدِ عن النَّاسِ، وهو في ذلك الجمالِ الباهِرِ، والبَشَرِيَّةِ الكاملةِ السَّوِيَّة، ولم ينطِقْ لها بسوءٍ أو يتعَرَّضْ لها، وإنما ذلك خَوفٌ منها، وهذا أبلغُ ما يكونُ مِن العِفَّةِ، والبُعدِ عن الشَّرِّ وأسبابِه، وهذه العِفَّةُ -خصوصًا مع اجتِماعِ الدَّواعي، وعدَمِ المانِعِ- مِن أفضَلِ الأعمالِ؛ ولذلك أثنى اللهُ عليها، فقال: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) [التحريم: 12]، (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: 91]، فأعاضها اللهُ بعِفَّتِها ولدًا مِن آياتِ اللهِ، ورسولًا مِن رُسُلِه. موسوعة التفسير

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ﴿19﴾

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) أي: قال جِبريلُ لِمَريمَ: إنَّما أنا مَلَكٌ مُرسَلٌ من الله إليك، ولستُ كما تظُنِّينَ، فلا تخافي مني. موسوعة التفسير

(لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) أي: قال جِبريلُ لِمَريمَ: أرسَلَني اللهُ إليكِ؛ لأكونَ سَبَبًا في هبةِ غلامٍ لك طاهِرٍ من الذُّنوبِ والخِصالِ الذَّميمةِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ [آل عمران: 45، 46].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قراءةُ لِيَهَبَ بإخبارِ جِبريلَ عليه السَّلامُ عن اللهِ عزَّ وجَلَّ، أي: (لِيَهَبَ لكِ اللهُ غُلامًا).

2- قِراءةُ لِأَهَبَ بإسناد الفِعلِ إلى جبريلَ عليه السَّلامُ؛ وذلك لأنَّ الله أمَرَ جِبريلَ أن ينفُخَ الرُّوحَ في مَريمَ، فهو سببٌ في وجودِ غُلامِها.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿20﴾

(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) أي: قالت مَريمُ: كيف يكونُ لي غُلامٌ أَلِدُه، ولم يَقرَبْني أحدٌ بنِكاحٍ؟! موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (الظاهِرُ أنَّ استفهامَها استخبارٌ واستعلامٌ عن الكيفيَّةِ التي يكونُ فيها حَملُ الغلامِ المذكور؛ لأنَّها مع عدمِ مَسيسِ الرِّجالِ لم تتَّضِحْ لها الكيفيَّةُ، ويحتملُ أن يكون استفهامُها تعجُّبًا من كمالِ قُدرةِ الله تعالى). ((أضواء البيان)) (387/3).

كما قال تعالى: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) [آل عمران: 47].

(وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) أي: ولم يكُنْ مِن دَأبي الفُجورُ والوقوعُ في الفاحِشةِ، فكيف يكونُ لي ولَدٌ.موسوعة التفسير

﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾﴿21﴾

(قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أي: قال جبريلُ لِمَريمَ: هكذا الأمرُ كما ذكرتِ مِن أنَّه لم يمسَسْكِ بشَرٌ، ولم تكوني بَغيًّا، ولكِنْ قال ربُّكِ: خلْقُ الغُلامِ منك مِن غيرِ أبٍ سَهلٌ ويَسيرٌ عليَّ.موسوعة التفسير

(وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ) أي: ونخلُقُ ولَدَكِ الذي تَلِدينَه مِن غيرِ أبٍ؛ لنجعَلَ ذلك عَلامةً للنَّاسِ، ودَلالةً تَدُلُّهم على كمالِ قُدرةِ الخالِقِ العَجيبةِ، وعَظمةِ سُلطانِه، وتَوحيدِه سُبحانَه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) [المؤمنون: 50].

قال السعدي: يدُلُّ على كَمالِ قُدرةِ الله تعالى، وعلى أنَّ الأسبابَ جَميعَها لا تستَقِلُّ بالتأثيرِ، وإنَّما تأثيرُها بتقديرِ اللهِ، فيُري تعالى عبادَه خَرْقَ العوائِدِ في بعضِ الأسبابِ العاديَّةِ؛ لئلَّا يَقِفوا مع الأسبابِ، ويَقطَعوا النَّظَرَ عن مُقَدِّرِها ومُسَبِّبِها.

(وَرَحْمَةً مِنَّا) أي: ونبيًّا يدعو إلى اللهِ؛ رَحمةً منَّا له ولكِ وللنَّاسِ، خُصوصًا مَن آمَنَ به واتَّبَعه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ....) [آل عمران: 49].

(ورحمة منا) رحمة الله بعيسى، بما خصه الله بوحيه ومن عليه بما من به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولا، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة. التفسير الموضوعي

(وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) أي: وكان خَلْقُ اللهِ للولَدِ منكِ مِن غيرِ أبٍ أمرًا قد قضاه اللهُ وقَدَّرَه؛ فوقوعُه كائِنٌ لا محالةَ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران: 47].

✉يُخبِرُ الله تعالى عن مشهدٍ آخرَ مِن مشاهدِ تلك القصةِ العجيبةِ، حينَ حمَلت مريمُ بعيسى عليه السلامُ، وعندما جاءَها المخاضُ.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿22﴾

(فَحَمَلَتْهُ) أي: فحَمَلَت مريمُ بعيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. موسوعة التفسير

مدة حمل مريم بعيسى عليه السلام كما قال الجمهور إنها تسعة أشهر كغيره من البشر .

(فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) أي: فتنحَّت بحَمْلِها إلى مكانٍ بعيدٍ عن النَّاسِ. المكروب يستريح إلى البث، ويحتاج إلى الشكوى.

لجأت لله لأنه رحيم بعباده، لأنها سبحانه أرحم بنا من نفسنا التي بين جنبينا، فيستحب لمن زاد عليه البلاء أن يعتزل الناس والقيل والقال، وينطرح على باب الرحمن يدعوه ويبث ما يضيق به صدره، لترتاح أعصابه من العبء المرهق، وليطمئن قلبه إلى أنه قد عهد بأعبائه إلى من هو أقوى وأقدر منه، ويتيقن أنه أوى لله تعالى الذي لا يضام من لجأ إليه، ولا يخيب من توكل عليه.

الخلوة رياضة للنفس وسمو بالروح وشحذ للهمة وصفاء للقلب وزيادة قرب من الله عز وجل.

ويشتد الأنس بالله ببعض الصالحين لدرجة يستوحشون فيها من أقرب الناس...فيبحثون عن أماكن خالية يناجون فيها حبيبهم.علي الفيفي

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ ﴿23﴾

(فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) أي: فألجأَها ألمُ الطَّلْقِ إلى جِذعِ نَخلةٍ. موسوعة التفسير

(قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) أي: قالت: يا ليتني مِتُّ قبل أن أحمِلَ هذا الغلامَ مِن غيرِ زَوجٍ، وكنتُ شَيئًا حقيرًا يُترَكُ ويُنسَى فلا يَخطُرُ على بالٍ. موسوعة التفسير

✉تمنَّتْ لو كانت شيئًا لا يُؤْبَهُ له، من شأْنِه وحقِّه أنْ يُنْسى في العادةِ، وقد نُسِيَ وطُرِحَ، فوُجِدَ فيه النِّسيانُ الَّذي هو حقُّه؛ وذلك لِما لحِقَها مِن فرطِ الحياءِ والخجلِ مِن النَّاسِ على حُكمِ العادةِ البشريَّةِ، لا كراهةً لحُكمِ اللهِ. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: فيه دَليلٌ على جوازِ تمنِّي الموتِ عندَ الفِتنةِ؛ فإنَّها عَرَفَت أنَّها ستُبتلَى وتُمتحَنُ بهذا المولودِ الذي لا يحمِلُ النَّاسُ أمرَها فيه على السَّدادِ، ولا يصَدِّقونَها في خبرِها، وبعدما كانت عندَهم عابِدةً ناسِكةً تُصبِحُ عِندَهم -فيما يظُنُّونَ- عاهرةً زانيةً.

✉فمريمُ تمنَّت الموتَ مِن جهةِ الدِّينِ؛ إذ خافت أن يُظَنَّ بها الشَّرُّ في دينِها وتُعيَّرَ؛ فيَفتِنَها ذلك، وهذا مباحٌ،وعلى هذا الحَدِّ تمنَّاه جماعةٌ مِن الصالحينَ، ونَهيُ النبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن تمنِّي الموتِ، إنَّما هو لِضُرٍّ نَزَل بالبَدَنِ. موسوعة التفسير

📋**قال ابن عاشور**: في هذا دليلٌ على مقامِ صبْرِها وصدْقِها في تلقِّي البَلوَى الَّتي ابتلاها اللهُ تعالى؛ فلذلك كانت في مقامِ الصِّدِّيقيَّةِ.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿24﴾

(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي) أي: فناداها مولودُها عيسَى مِن تَحتِها عندما وضَعَتْه قائِلًا لها: لا تَحزَني. موسوعة التفسير

📋قال الشنقيطي: (أظهَرُ القولينِ عندي أنَّ الذي ناداها هو ابنُها عيسى،((لأن هناك من قال انه جبريل)) وتدُلُّ على ذلك قرينتان: الأولى: أنَّ الضميرَ يرجِعُ إلى أقرب مذكور إلَّا بدليلٍ صارفٍ عن ذلك يجِبُ الرجوعُ إليه، وأقربُ مذكورٍ في الآيةِ هو عيسى لا جبريلُ؛ لأنَّ الله قال: فَحَمَلَتْهُ، يعني: عيسى فَانْتَبَذَتْ بِهِ، أي: بعيسى. ثمَّ قال بعده: فَنَادَاهَا فالذي يظهرُ ويتبادَرُ مِن السياقِ أنَّه عيسى. والقرينة الثانية: أنَّها لَمَّا جاءت به قَومَها تَحمِلُه، وقالوا لها ما قالوا، أشارت إلى عيسى ليكلِّموه، كما قال تعالى عنها: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، وإشارتُها إليه ليكَلِّموه قرينةٌ على أنَّها عَرَفت قبل ذلك أنَّه يتكلَّمُ على سبيلِ خَرقِ العادةِ؛ لندائِه لها عندما وضعَتْه). ((أضواء البيان)) (394/3).

(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) أي: قد أجرى ربُّك تحت قَدَميك نَهرًا صغيرًا؛ لتَشربي منه. موسوعة التفسير

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ ﴿25﴾

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) أي: وحَرِّكي جِذعَ النَّخلةِ. موسوعة التفسير

(تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) أي: تُسْقِطْ عليكِ النَّخلةُ رُطَبًا طَرِيًّا طيِّبًا نافعًا. موسوعة التفسير

📋قال ابن كثير: وقال عمرُو بنُ مَيمونٍ: (ما من شَيءٍ خَيرٌ للنُّفَساءِ مِن التَّمرِ والرُّطَبِ)، ثمَّ تلا هذه الآيةَ الكريمةَ: "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا".

📋قال القرطبي: واستُدِلَّ مِن هذه الآيةِ على أنَّ الرِّزقَ وإن كان محتومًا، فإنَّ اللهَ تعالى قد وكلَ ابنَ آدمَ إلى سعيٍ ما فيه؛ لأنَّه أمَرَ مريمَ بهَزِّ النَّخلةِ؛ لترى آيةً، وكانت الآيةُ تكونُ بألَّا تَهُزَّ.

📋قال الشنقيطي: فأخذ بعضُ العُلَماءِ مِن هذه الآيةِ أنَّ السَّعيَ والتسَبُّبَ في تحصيلِ الرِّزقِ أمرٌ مأمورٌ به شرعًا، وأنَّه لا ينافي التوكُّلَ على الله جلَّ وعلا، وهذا أمرٌ كالمعلومِ مِن الدِّينِ بالضَّرورةِ: أنَّ الأخذَ بالأسبابِ في تحصيلِ المنافِعِ، ودَفعِ المضارِّ في الدُّنيا؛ أمرٌ مأمورٌ به شَرعًا لا ينافي التوكُّلَ على اللهِ بحالٍ؛ لأنَّ المكَلَّفَ يتعاطى السَّبَبَ امتِثالًا لأمرِ رَبِّه، مع عِلمِه ويقينِه أنَّه لا يقَعُ إلَّا ما يشاءُ اللهُ وُقوعَه، فهو متوكِّلٌ على اللهِ، عالمٌ أنَّه لا يُصيبُه إلَّا ما كتَبَ اللهُ له مِن خيرٍ أو شَرٍّ، ولو شاء الله تَخلُّفَ تأثيرِ الأسبابِ عن مُسَبِّباتِها، لتخلَّفَ.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ﴿26﴾

(فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) أي: فكُلي من الرُّطَبِ، واشرَبي مِن ماءِ النَّهرِ، وطيبي نفسًا، وافرَحي ولا تحزَني. موسوعة التفسير

(فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أي: فإنْ رأيتِ أحدًا من النَّاسِ يُريدُ أن يُكلِّمَكِ فقُولي: إنِّي أوجبتُ على نفسي للرَّحمنِ أن أُمسِكَ عن الكلامِ. موسوعة التفسير

قال ابنُ عطية: (ظاهِرُ الآيةِ أنَّها أُبيحَ لها أن تقولَ هذه الألفاظَ التي في الآيةِ، وهو قَولُ الجُمهورِ).

(فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) أي: فلن أكلِّمَ اليومَ أحدًا من النَّاسِ. موسوعة التفسير

✉كثير من المشاكل علاجها بالصمت، فالصمت في بعض المواطن حكمة. عايض المطيري

✉الذين يفوضون كل أمرهم لله، يرزقهم الله، ويرضيهم الله، ويدافع عنهم الله .علي الفيفي

✉هناك أمور الصمت فيه أفضل، وخاصة مع من لا يتق الله، فقد يفهم كلامك على غير ما قصدتي، وينقله خلاف ما ذكرتي، فناجي الله وادعيه أن يسمعهم الحق عنك، وتوكلي على الله وكفى بالله وكيلاً.

وقال السعدي: (إنما لم تؤمَرْ بخِطابِهم في نفيِ ذلك عن نفسِها؛ لأنَّ النَّاسَ لا يصَدِّقونَها، ولا فيه فائدةٌ، ولتكونَ تبرئتُها بكلامِ عيسى في المهدِ أعظَمَ شاهدٍ على براءتِها؛ فإنَّ إتيانَ المرأةِ بولدٍ مِن دونِ زَوجٍ، ودعواها أنَّه مِن غيرِ أحدٍ: من أكبرِ الدَّعاوى التي لو أُقيم عِدَّةٌ مِن الشُّهودِ لم تُصَدَّقْ بذلك؛ فجُعِلَت بينةُ هذا الخارقِ للعادةِ أمرًا مِن جِنسِه، وهو كلامُ عيسى في حالِ صِغَرِه جِدًّا). ((تفسير السعدي)) (ص: 492).

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿27﴾

(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) أي: فجاءت مَريمُ إلى قَومِها وهي تَحمِلُ عيسى دونَ أن تُخفِيَه، مُطمَئِنَّةً إلى أمرِ اللهِ، غيرَ مُكتَرِثةٍ بما سيقولُه النَّاسُ عنها. موسوعة التفسير

قال ابن الجوزي: إن قيل: (أَتَتْ بِهِ) يُغني عن تَحْمِلُهُ فما فائدةُ التَّكرير؟

⇦فالجوابُ: أنَّه لَمَّا ظَهَرت منه آياتٌ، جاز أن يتوهَّمَ السَّامِعُ من فَأَتَتْ بِهِ أن يكونَ ساعيًا على قَدَميه، فيكونَ سَعيُه آيةً كنُطقِه، فقطع ذلك التوهُّمَ، وأعلَمَ أنَّه كسائرِ الأطفالِ، وهذا مِثلُ قَولِ العَرَبِ: نظَرْتُ إلى فُلانٍ بعَيني، فنَفَوا بذلك نظَرَ العَطفِ والرَّحمةِ، وأثبَتوا أنَّه نظَرُ عَينٍ.

قال ابن عاشور: جُملةُ: تَحْمِلُهُ حالٌ من تاءِ فَأَتَتْ، وهذه الحالُ للدَّلالةِ على أنَّها أتَتْ مُعلِنةً به غيرَ ساترةٍ؛ لأنَّها قد علِمَتْ أنَّ اللهَ سيُبرِّئُها ممَّا يُتَّهمُ به مثْلُ مَن جاء في حالتِها.

(قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) أي: فلمَّا رآها قَومُها وهي تَحمِلُ مولودًا، قالوا: يا مريمُ، لقد فَعلتِ مُنكَرًا عَظيمًا. موسوعة التفسير

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾﴿28﴾

(يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ) أي: يا أُختَ الرجُلِ الصَّالحِ هارونَ، لم يكُنْ أبوك رجلًا يقارِفُ الفاحِشةَ. موسوعة التفسير

قال الواحدي: (يَا أُخْتَ هَارُونَ قال ابنُ عباس، وقتادة: هارونُ رجلٌ صالحٌ مِن بني إسرائيل، يُنسَبُ إليه مَن عُرِفَ بالصَّلاحِ، والمعنى: يا شبيهتَه في العِفَّةِ وعلى هذا يدُلُّ حديثُ المغيرةِ بنِ شُعبةَ).

عن المغيرةِ بنِ شُعبةَ رَضِيَ الله عنه، قال: (لَمَّا قَدِمتُ نَجرانَ سَألوني فقالوا: إنَّكم تقرؤونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وموسى قبلَ عيسى بكذا وكذا، فلمَّا قَدِمتُ على رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم سألتُه عن ذلك، فقال: إنَّهم كانوا يُسَمُّونَ بأنبيائِهم والصَّالحينَ قَبلَهم) رواه مسلم

قال البغوي: قال قتادة وغيره: كان هارون رجلًا صالحًا عابدًا في بني إسرائيل، وروي أنه اتَّبع جنازته يوم مات أربعون ألفًا كُلُّهم يُسمَّى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبَّهوها به على معنى: إنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوَّة في النسب.

وليس المرادُ هارونَ بنَ عمرانَ أخا موسَى؛ لأنَّ بينَهما قُرونًا كثيرةً. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين رحمه الله: في قوله تعالى:(يَا أُخْتَ هَارُونَ) إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ إذا زنى؛ فقد يُبْتَلَى نسْلُه بالزِّنا، والعياذُ بالله.

قال السعدي: الذُّريَّةُ -في الغالِبِ- بَعضُها مِن بعضٍ، في الصَّلاحِ وضِدِّه.

(وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) أي: ولم تكُنْ أمُّك -يا مَريمُ- زانيةً فتَتأسَّيْ بها، فكيف قارفتِ ذلك وأنتِ مِن أولئك القَومِ الصَّالحينَ. موسوعة التفسير

في الآية تنبيهٌ على أَثَرةِ المرأةِ ذاتِ الأصلِ الطاهرِ، والمنبتِ الطيبِ، واجتنابِ ذواتِ المنابتِ الخبيثةِ. موسوعة التفسير

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾﴿29﴾

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) أي: فلم تُكَلِّمْ مَريمُ قَومَها، وأشارت إلى ابنِها عيسى أنْ كَلِّموه؛ لِيُجيبَهم بدلًا منها. موسوعة التفسير

(كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) أي: قال قَومُ مَريمَ مُنكِرينَ عليها: كيف نكَلِّمُ رَضيعًا لا يزالُ في فِراشِه، وليس في استطاعتِه الكَلامُ. موسوعة التفسير

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾﴿30﴾

(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ) أي: فنطَقَ عيسَى وهو صبيٌّ في المهدِ، فقال: إنِّي عبدُ اللهِ؛ فهو الذي يستَحِقُّ العبادةَ وَحْدَه، لا شَريكَ له. موسوعة التفسير

قال البيضاوي: أنطقَه اللهُ تعالى به أوَّلًا؛ لأنَّه أوَّلُ المقاماتِ، وللرَّدِّ على مَن يَزعُمُ رُبوبيَّتَه.

قال البغوي: قال مُقاتِلٌ: (أقَرَّ على نفسِه بالعُبوديَّةِ لله عزَّ وجَلَّ أوَّلَ ما تكَلَّمَ؛ لِئَلَّا يُتَّخَذَ إلهًا).

قال الشنقيطي: ففي ذلك أعظمُ زجرٍ للنَّصارَى عن دعواهم أنَّه الله أو ابنُه أو إلهٌ معه.

قال ابن تيمية: في الآية ردٌّ على الغُلاةِ في المسيحِ، وعلى الجُفاةِ النَّافينَ عنه ما أنعَمَ اللهُ به عليه.

العبودية أعظم ما تستجلب به رحمة الله، وهذه السورة تظهر الرحمة بأجل صورها لمن كملت عبوديته، فجاءت البشرى لزكريا في المحراب وهو يتعبد ،وجاءت لمريم الصالحة الصديقية وهي تتعبد فوهبها الله الكرامات.

قال ابن تيمية : (وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه , وهو تحقيق محبة الله بكل درجة , وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده , وبقدر نقص هذا يكون نقص).

(آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) أي: قضى اللهُ وقَدَّرَ مِن قبلُ أنَّه سيُؤتيني الإنجيلَ، وسيَجعَلُني نَبيًّا. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: كلامُ عيسى هذا مِمَّا أهمَلَتْه أناجيلُ النَّصارى؛ لأنَّهم طَوَوا خبَرَ وُصولِها إلى أهلِها بعد وَضعِها، وهو طَيٌّ يُتعَجَّبُ منه، ويدُلُّ على أنَّها كُتِبَت في أحوالٍ غيرِ مَضبوطةٍ، فأطلَعَ اللهُ تعالى عليه نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

قال الرازي: مع أنَّ الذي اشتَدَّت الحاجةُ إليه في ذلك الوَقتِ إنَّما هو نفيُ تُهمةِ الزِّنا عن مَريمَ عليها السَّلامُ، إلَّا أنَّ عيسى عليه السلامُ لم يَنُصَّ على ذلك، وإنَّما نَصَّ على إثباتِ عُبوديَّةِ نَفسِه، كأنَّه جَعَل إزالةَ التُّهمةِ عن اللهِ تعالى أَولى من إزالةِ التُّهمةِ عن الأمِّ؛ فلهذا أوَّلَ ما تكَلَّمَ إنَّما تكَلَّمَ بها.

قال الرازي: فيه تنبيهٌ على بَراءةِ أُمِّه ممَّا اتُّهِمَتْ به؛ لأنَّه تعالى لا يخُصُّ بولدٍ موصوفٍ بالنُّبوَّةِ والخلالِ الحميدةِ إلَّا مُبرَّأةً مُصطفاةً.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿31﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: لَمَّا قال عيسى عليه السَّلامُ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا فأخبَرَهم بأنَّه عبدُ الله، وأنَّ اللهَ عَلَّمَه الكتابَ، وجَعَله من جملةِ أنبيائِه، فهذا مِن كَمالِه لنَفسِه؛ ذكَرَ بَعدَه تكميلَه لِغَيرِه، فقال

(وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) أي: وجعَلَني ذا بَرَكاتٍ، كثيرَ الخَيراتِ، ومِن ذلك أن أكونَ نفَّاعًا للخَلقِ، مُعَلِّمًا للخيرِ في أيِّ مكانٍ وزَمانٍ أكونُ فيه. موسوعة التفسير

قال البغوي في قوله تعالى (مُبَارَكًا): قال عطاءٌ: أدعو إلى اللهِ وإلى توحيدِه وعبادتِه. وقيل: وجعلني آمُرُ بالمعروفِ، وأنهى عن المنكَرِ، وأرشُدُ الضالَّ، وأنصُرُ المظلومَ، وأُغيثُ الملهوفَ.

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) أي: وأوصاني اللهُ أن أحافِظَ على الصَّلاةِ والزَّكاةِ في مُدَّةِ حياتي. موسوعة التفسير

كما قال تعالى لنَبيِّه مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر: 99].

قال ابنُ جرير: (وفي الزَّكاة معنيان: أحدُهما: زَكاةُ الأموال أن يُؤدِّيَها، والآخَرُ: تطهيرُ الجسَدِ مِن دَنَسِ الذُّنوبِ).

فإنْ قلْتَ: الزَّكاةُ إنَّما تجِبُ على الأغنياءِ، وعيسى لم يزَلْ فقيرًا، لابِسًا كِساءً مُدَّةَ مُكثِه في الأرضِ، مع علْمِه تعالى بحالِه؛ فكيف أوصاهُ بها؟! فالجواب: المرادُ بالزَّكاةِ هنا: تزكيةُ النَّفسِ وتطهيرُها من المعاصي، لا زَكاةُ المالِ. ((فتح الرحمن)) للأنصاري

قال ابن عاشور: أي: أنْ يُصلِّيَ ويتصدَّقَ في أوقاتِ التَّمكُّنِ من ذلك؛ فالاستغراقُ المستفادُ من قولِه: مَا دُمْتُ حَيًّا استغراقٌ عُرفِيٌّ مُرادٌ به الكثرةُ.

وقال القرطبي: (رُوِيَ أنَّ عيسى عليه السَّلامُ إنَّما تكلَّمَ في طفولتِه بهذه الآية، ثم عاد إلى حالةِ الأطفالِ، حتى مشى على عادةِ البَشَرِ إلى أن بلغ مبلغَ الصِّبيانِ، فكان نطقُه لإظهارِ براءةِ أمِّه لا أنَّه كان ممَّن يَعقِلُ في تلك الحالة، وهو كما يُنطِقُ اللهُ تعالى الجوارحَ يوم القيامة. ولم يُنقَلْ أنَّه دام نُطقُه، ولا أنَّه كان يصلِّي وهو ابنُ يومٍ أو شهرٍ، ولو كان يدوم نُطقُه وتسبيحُه ووَعظُه وصلاتُه في صِغَرِه مِن وَقتِ الولادِ، لكان مثلُه ممَّا لا ينكَتِمُ).

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾﴿32﴾

(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) أي: وجعَلَني اللهُ بارًّا بوالِدتي مريمَ، مُطيعًا لها، محسنًا إليها غايةَ الإحسانِ.موسوعة التفسير

(وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) أي: ولم يجعَلْني اللهُ مُستَكبرًا عن عبادتِه وبِرِّ أمِّي، ولا غليظًا في مُعاملةِ النَّاسِ مُترفِّعًا عليهم، بل جعَلَني خاضِعًا خاشِعًا مُتذَلِّلًا له، متواضِعًا لعبادِه، سَعيدًا في الدُّنيا والآخرةِ.موسوعة التفسير

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾﴿33﴾

(وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ) أي: والتحيَّةُ مِنَ اللهِ عليَّ، والسَّلامةُ والأمانُ لي يومَ وُلِدتُ، ومِن ذلك السلامةُ مِن طَعنِ الشَّيطانِ عندَ الولادةِ. موسوعة التفسير

عن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: ((ما مِن بَني آدمَ مَولودٌ إلَّا يَمَسُّه الشَّيطانُ حين يُولَدُ، فيَستَهِلُّ صارِخًا مِن مَسِّ الشَّيطانِ، غيرَ مَريمَ وابنِها))، ثمَّ يقولُ أبو هريرةَ: (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [آل عمران: 36]) (رواه بخاري).

وفي روايةٍ: ((كُلُّ بني آدمَ يَطْعُنُ الشَّيطانُ في جنبَيْه بإصبعِه حينَ يُولَدُ غيرَ عيسى بنِ مريمَ؛ ذَهَب يَطْعُنُ فطَعَن في الحجابِ (أي: المشيمةِ التي فيها الولدُ). رواه بخاري

قال الحافظ ابن حجر: (قال القرطبي: هذا الطعنُ مِن الشيطانِ هو ابتداءُ التسليطِ، فحفِظ اللهُ مريمَ وابنَها منه ببركةِ دعوةِ أمِّها؛ حيثُ قالت: (وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [آل عمران: 36] ولم يكُنْ لمريمَ ذريةٌ غير عيسى).

(**وَيَوْمَ أَمُوتُ**) أي: وتحيةٌ مِن اللهِ يومَ أموتُ وسَلامةٌ وأمانٌ لي مِن كُلِّ سُوءٍ؛ ككُرَبِ الموتِ، وسُوءِ الخاتمةِ، وعذابِ القَبرِ وفِتنَتِه. موسوعة التفسير

(**وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**) أي: وتحيةٌ مِنَ اللهِ وسَلامةٌ وأمانٌ لي يومَ القيامةِ حينَ يَبعَثُني حيًّا فيُؤَمِّنُني مِن الفزَعِ والأهوالِ، وعذابِ النَّارِ. موسوعة التفسير

قال الرازي: قال تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلامُ: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) أعظَمُ أحوالِ الإنسانِ احتياجًا إلى السَّلامةِ هي هذه الأحوالُ الثَّلاثةُ، وهي يومُ الوِلادةِ، ويومُ الموتِ، ويَومُ البَعثِ؛ فجَميعُ الأحوالِ التي يُحتاجُ فيها إلى السَّلامةِ واجتِماعِ السَّعادةِ مِن قِبَلِه تعالى طَلَبَها؛ لِيَكونَ مَصونًا عن الآفاتِ والمخافاتِ في كلِّ الأحوالِ.